ضابط واصطلاح إطلاق لفظة «شيخ»

كتبه
أبو المنذر عمار الحوباني
وفقه الله

قرأها وأذن بنشرها شيخنا العلامة
أبو عبد الرحمن يحيى الحجوري حفظه الله

دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

ضَابِط وَاصْطِلاح

إِطْلاق لَفْظَة

شَيْخ



الشرفي للطباعة

تفريغ صف تنسيق مراجعة إخراج

779555171 -772006613 - 715273115 - 730304934

دار الإمام الشافعي

للطباعة والنشر والتوزيع

اليمن - عدن

الشيخ عثمان جولة القاهرة

خلف فندق الريان

+٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢ – +٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤

alshafibooks@gmail.com

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

ضَابِطُ واصْطِلاح إِطْلاقِ لَفْظَة شَيْخ

كَتَبَهُ

أَبُو المُنْذِرِ عَمَّارٌ الحُوبَانِيُّ

وفَّقَهُ اللهُ

قَرَأَهَا وأَذِنَ بِنَشْرِهَا

الشَّيْخُ العَلَّامَةُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَحْيَى الحَجُورِيُّ

حَفِظَهُ اللهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فقد قُدم سؤالٌ لشيخنا العلامة المحدث الناصح الأمين يحيى الحجوري -حفظه الله- في درسه الماتع بين مغرب وعشاء عن ضابط إطلاق لفظة شيخ في أوساط طلاب العلم والدعاة إلى الله، ومتى يقال فلان شيخ، فقال شيخنا -حفظه الله-: إن شاء الله في وقت آخر نفصل في هذه المسألة، فصادف ذلك بحث عندي كنت قد كتبته من قبل بعنوان: **"تذكير بأهمية خُلق الاحترام والتوقير"**، ومن ضمن بحثي ذكرت هذه المسألة، وفصلت فيها القول، ثم إني أفردت منه هذا المبحث وعرضته على الشيخ؛ للمناسبة المذكورة؛ ولأن الكلام في هذا الموضوع يتردد ذكره كثيرا

في أوساط طلاب العلم، ولم أجد من فَصَّل فيها، وناقشها، وجمع مادتها، وكلام أهل العلم بما يكون في متناول الباحث، فأرجو أني قد شاركت بما يوفي بشيء من المقصود، ثم إن شيخنا يحيى -أكرمه الله- قد راجع لي هذا البحث، ثم حث على نشره(١).

هذا وأسأل الله أن ينفع به، ويكتب الأجر والثواب للجميع.

والحمد لله رب العالمين.

وقد جعلته على ما يلي:

١) معاني لفظة "شيخ" في القرآن الكريم.
٢) اصطلاح لفظة "شيخ" في كتب الجرح والتعديل.
٣) اصطلاح لفظة "شيخ" في كتب الفقه.
٤) اصطلاح لفظة "شيخ" في كتب أهل العلم.
٥) اصطلاح لفظة "شيخ" في عرف القبائل.
٦) التعريف بلفظة "شيخ" في كتب اللغة، وأنها قد يراد بها المدح والثناء.

---

(١) أرسله إليَّ مع ولده الفاضل الخلوق محمد، وقد أرسل لي رسالة، وقال فيها: أبشرك، الحمد لله الوالد قرأ بحثك الطيب على لفظة شيخ، قرأه كاملا وقال: بحث جميل، وإن شاء الله يُقْرَأ في الدرس.

٧) مقدمة مهمة فيها النصح لمن أُثني عليه خيرا بلفظة "**شيخ**" أو غيره.

٨) التفصيل في إطلاق لفظة "**شيخ**" في أوساط طلاب العلم.

٩) اعتبار الشهرة في إطلاق لفظ "**شيخ**".

١٠) لا يشترط سنا معينا لمن أطلق عليه لفظة "**شيخ**" وكان من أهلها.

١١) خاتمة مهمة لمن همه تجميع تزاكي، سواء بإطلاق لفظة "**شيخ**" أو غيرها.



معاني لفظة شيخ في القرآن الكريم:

تطلق لفظة شيخ في القرآن على كبير السن، وقد وردت بهذا المعنى في أربعة مواضع من كتاب الله تعالى:

الأول: قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾[يوسف].

الثاني: قوله تعالى: ﴿قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾﴾[هود].

الثالث: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ﴾[غافر].

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

[القصص].

ومن هذا الباب ما جاء عَنِ **ابْنِ عَبَّاسٍ** -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قَالَ **عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ** -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَطُولَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ حَتَّى يَقُولَ قَائِلٌ: مَا أَجِدُ الرَّجْمَ فِي كِتَابِ اللهِ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، أَلَا وَإِنَّ الرَّجْمَ حَقٌّ إِذَا أُحْصِنَ الرَّجُلُ، وَقَامَتِ الْبَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ حَمْلٌ، أَوِ اعْتِرَافٌ، وَقَدْ قَرَأْتُهَا: (**الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ**)، رَجَمَ رَسُولُ اللهِ وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ. [رواه ابن ماجه (٣/ ٢٢٥)].



اصطلاح لفظة شيخ في كتب الحديث والسير

يظهر من خلال التتبع بأن لفظة شيخ تطلق في كتب الحديث ويراد بها أربعة معاني:

المعنى الأول: أن يصفوا راويًا سمع من آخر بأنه شيخ له، فيقولون: فلان شيخ لفلان.

وهي أن يقول الراوي أو التلميذ أو الطالب: حدثني شيخي، أو شيخنا ونحو ذلك.

وهذا مصطلح معروف مشهور في كتب الحديث في شأن الرواة في نقلهم عمن سمعوا منهم، وهو كثير في إطلاقاتهم.

المعنى الثاني: أن يقال: رواه الشيخان، فاصطلحوا على أن المراد به: البخاري ومسلم، وعلى هذا عمل الكثير من المخرجين فيكتفي بقوله: رواه الشيخان، ويفهم القارئ أن المراد بهما: البخاري ومسلم.

المعنى الثالث: عند ذكر الصحابة، فإن لفظ الشيخين يراد به: أبو

بكر الصديق -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-، وعمر بن الخطاب -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-، وبعد موتهما في حياة الصحابة المراد به: علي وعثمان -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-.

المعنى الرابع: أنه يراد بالشيوخ كبار القوم من الصحابة، كما جاء في حديث **ابْنِ عَبَّاسٍ** -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: كَانَ عُمَرُ يُدْخِلُنِي مَعَ أَشْيَاخِ بَدْرٍ. [رواه البخاري، برقم: (٤٢٩٤)].



اصطلاح لفظة شيخ في كتب الجرح والتعديل:

لكل واحد من علماء وأئمة الجرح والتعديل اصطلاحا خاصا به في إطلاق لفظة شيخ عند السؤال عن حال الرواة.

فبعضهم يعدها آخر مراتب التعديل، وأول مراتب الجرح.

ويرى كثير منهم بأن مثل هذا الإطلاق في الراوي يراد به بأنه غير مطروح ولا مردود الرواية.

وقد يطلقها بعضهم على ما دون الأئمة الحفاظ، ولو كان ثقة.

فهذه اللفظة لكل إمام من أئمة الجرح والتعديل اصطلاح خاص به في إطلاقها.

ولذلك **يقول ابن رجب** -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح علل الترمذي (١/ ١٦٤)-: والشيوخ في اصطلاح أهل العلم عبارة عمن دون الأئمة والحفاظ، وقد يكون فيهم الثقة وغيره. اهـ

وقال ابن القطان الفارسي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام (٣/ ٥٣٩)-: شيخ: فَإِن هَذِه اللَّفْظَة يطلقونها على الرجل

إِذا لم يكن مَعْرُوفا بالرواية مِمَّن أَخذ وَأُخذ عَنهُ، وَإِنَّمَا وَقعت لَهُ رِوَايَة لحَدِيث أَو أَحَادِيث، فَهُوَ يَرْوِيهَا، هَذَا الَّذِي يَقُولُونَ فِيهِ: شيخ.

وَقد لَا يكون من هَذِه صفته من أهل الْعلم، وَقد يَقُولُونَهَا للرجل بِاعْتِبَار قلَّة مَا يرويهِ عَن شخص مَخْصُوص، كَمَا يَقُولُونَ: حَدِيث الْمَشَايِخ عَن أبي هُرَيْرَة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَو عَن أنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فيسوقون فِي ذَلِك رِوَايَات لقوم مقلين عَنْهُم، وَإِن كَانُوا مكثرين عَن غَيرهم.

وَكَذَلِكَ إِذا قَالُوا: أَحَادِيث الْمَشَايِخ عَن رَسُول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَإِنَّمَا يعنون من لَيْسَ لَهُ عَنهُ إِلَّا الحَدِيث، أَو الحديثان وَنَحْو ذَلِك.

وَأَبُو مُحَمَّد -رَحِمَهُ اللَّهُ- لم يرَ فِي هَذَا الرجل القَوْل بِأَنَّهُ شيخ، فَإِنَّهُم لم يَقُولُوا ذَلِك فِيهِ فِيمَا أعلم، وَإِنَّمَا رأى فِي كتاب ابْن أبي حَاتِم سُؤال أبي مُحَمَّد أَبَاهُ وَأَبا زرْعَة عَنهُ، فَقَالَا: هُوَ شيخ لِابْنِ وهب.

فَهَذَا شَيْء آخر، لَيْسَ هُوَ الَّذِي ذكر، فَإِن لَفْظَة شيخ لَفْظَة مصطلح عَلَيْهَا كَمَا تقدم، فَأَما لَفْظَة شيخ لفُلَان، فَإِنَّهُ بِمَعْنى آخر.

اهـ

وقال ابن أبي حاتم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة الجرح والتعديل (٢/ ٣٧)-: وإذا قيل شيخ فهو بالمنزلة الثالثة، يكتب حديثه وينظر فيه، إلا أنه دون الثانية. اهـ

وقال الترمذي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه (١/ ١٦٨) في بعض الرواة-: وهو شيخ ليس بذاك. اهـ

وقال المباركفوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تحفة الأحوذي (١/ ٣٠٣) شارحًا هذه العبارة: وهو شيخ ليس بذاك-: أي بذاك المقام الذي يوثق به. اهـ

وقال شيخنا العلامة المحدث يحيى الحجوري -حفظه الله-: وتطلق في الرواة على من ليس بضعيف، ولا محتج به.

قال الذهبي -في مقدمة الميزان-: ولم أتعرض لذكر من قيل فيه شيخ.

فإن هذا ومثله يدل على عدم الضعف المطلق، وربما أطلق ابن القطان لفظة شيخ على من ليس من أهل العلم ولا طلابه، وإن كان صاحب رواية اتفاقية، ذكر طالب بن حجير -في بيان الوهم

والإيهام-، ونقل أنه ليس من طلبة العلم ومتقنيه، وإنما هو رجل اتفقت له رواية الحديث.

وقال أحمد بن حنبل -في زكريا بن منظور-: شيخ، ولينه. كما في ترتيب المدارك للقاضي عياض.

وفي نفس المصدر نقل عن **ابن أبي حاتم قوله** -في عثمان بن الحكم-: شيخ ليس بالمتقن.

فمن الممكن أن يلخص هذا فيقال: إن لفظة شيخ آخر مراتب التعديل، وأول مراتب الجرح. اهـ [كما في مجموع فتاوى الكنز الثمين].



اصطلاح لفظة شيخ في كتب الفقه:

كتب الفقه المشهورة هي كتب الحنابلة، والشافعية، والمالكية، والحنفية، وهي نسبة للأئمة الأربعة: أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، ومحمد بن إدريس الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، ومالك بن أنس -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، وأبي حنيفة النعمان بن ثابت -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

فمما اشتهر في كتب كل مذهب اصطلاح لفظة شيخ، فكل مذهب له اصطلاحه في إطلاقها على أناس معينين من أئمة المذهب، ولا يعنون به واحدا من الأئمة الأربعة، وإنما من أتباعهم، إلا ما كان في مذهب الأحناف كما سيأتي.

وقد يطلقون لفظ الشيخين ويراد به اثنان من أصحاب المذهب.

فيذكرون في كتب الحنابلة أنه إذا قيل: قال الشيخان، أو رجحه الشيخان، أو جرى عليه عمل الشيخين ونحو ذلك، يعنون به: ابن قدامة المقدسي -صاحب المغني رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، ومجد الدين عبد السلام بن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وعند الشافعية: المراد بالشيخين: الرافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- والنووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

وفي كتب المالكية: المراد بالشيخين: القاضي عبد الوهاب بن نصر البغدادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، وشيخه ابن القصار -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

وفي كتب الحنفية: المراد بالشيخين أبي حنيفة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، وأبي يوسف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- والله أعلم.

استفدته من كتاب المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية. لمؤلف يقال له: علي جمعة محمد عبد الوهاب.



اصطلاح لفظة شيخ في كتب أهل العلم:

لكل عالم من المؤلفين وشراح الأحاديث مصطلح خاص به في لفظة شيخ، فإذا قال: قال شيخنا، أو رجح شيخنا، أو سمعت شيخنا ونحو ذلك، ولا يذكر اسمه فهذا مصطلح يعرفه من أمعن النظر في كتاب ذلك الإمام أو المصنف أو المؤلف، عند الاستقراء والنظر في كتبه فيعرف أنه يريد به شيخًا معينًا من مشايخه أكثر مِن مُلازمته، وهو مقدم عنده على غيره من مشايخه.

ومثال ذلك: ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- إذا قال شيخنا فيريد بهذا الإطلاق شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، وعلى هذا فقس في هذه المسألة.



اصطلاح لفظة شيخ في عرف القبائل:

وتطلق هذه اللفظة عند القبائل العربية ويراد بها كبار القوم من القبيلة والعشيرة، أو على غيرها من القبائل والعشائر، أو من يجتمع الناس عليه في البلد؛ لحل قضاياهم وما إلى ذلك، فيقال شيخ قبيلة كذا، وهذا وإن كان غير مشتهر في الأزمنة المتقدمة إلا أنه قد يراد به كبير السن في القوم، وهو المرجع لهم، فيكون من هذا الباب شيخ باعتبار كبر السن، وباعتبار أن الناس اعتادوا على الرجوع لكبير السن في القبيلة، ويسندون الأمور إليه، ويستدل لذلك بما جاء عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْبٍ، وَبِلَالٍ فِي نَفَرٍ، فَقَالُوا: وَاللهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا، قَالَ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ وَسَيِّدِهِمْ؟ فَأَتَى النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ: لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ، لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ» فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ؟ قَالُوا: لَا، يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أَخِي. [رواه مسلم، برقم: (٢٥٠٧)].

الشاهد قوله: شيخ قريش.

قال الهروي -في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٩/٤٠٠٦)-: أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخِ قُرَيْشٍ، أَيْ: لِكَبِيرِهِمْ وَسَيِّدِهِمْ؟ أَيْ: رَئِيسِهِمْ. اهـ

وشيخنا العلامة المحدث يحيى الحجوري -حفظه الله- يرى أن إطلاق لفظة شيخ على سادة القوم لا أصل له، **فقال** -حفظه الله-: أما إطلاق شيخ على سيد قومه فهذا غير مشهور عند المتقدمين، وإنما المشهور في حق من ساد قومه لفظة: سيّد، كما قال النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلِمَةَ؟**» قالوا: الجد بن قيس غير أنا نبخله. قال: «**وأي داء أدوأ من البخل؟! سيدكم عمرو بن الجموح**»(٤)، وجاء في حديث آخر: فلُدِغَ سيِّدُ ذلك الحيِّ، فَسَعَوْا له بكل شيء، لا ينْفَعُه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتُم هؤلاءِ الرَّهطِ الذين نزلوا بكم، لعلَّ عندهم بعضُ شيء؟ فأتَوْهم، فقالوا: يا أيها الرَّهط! إن سَيِّدَنا لُدِغَ، وسَعَيْنا له بكل شيء، لا ينفعه شيء، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: إني والله لأرْقي...

وجاء في السنة إطلاق لفظة: (عرفاء) -جمع: عريف- على من

يطلق عليهم الآن مشايخ القبائل.. والحمد لله. اهـ [كما في مجموع فتاوى الكنز الثمين].

قلت: ومن إطلاقات لفظ شيخ في المملكة العربية السعودية أن الجهات في ذلك المكان ينصبون شخصا يقال له: شيخ المعارض، وهو الذي يرجع الناس إليه عند حصول حادث فيقدر تكلفة الإصلاح بما يكون كلامه يعتمد رسميا في الجهات الحكومية، فيعتمد حكمه بما يحسم المسألة، ويقطع الخصومة والخلاف، وهذا اصطلاح عرفي للفظة شيخ ولا أصل له.



التعريف بلفظة شيخ في كتب اللغة وأنها قد يراد بها المدح والثناء:

قال ابن منظور -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في لسان العرب (٣/ ٣٢)-: شيخ: الشيْخُ: الَّذِي استبانتْ فِيهِ السِّنُّ وَظَهَرَ عَلَيْهِ الشيبُ...، **إلى قوله**: وشَيَّخْته: دَعَوْتُه شَيْخاً لِلتَّبْجِيلِ...،

إلى قوله:

يَحْسَبُه الجاهلُ مَا لَمْ يَعْلَمَا شَيْخاً عَلَى كُرْسِيِّه مُعَمَّمَا

لَوْ أَنه أَبَانَ أَو تَكَلَّمَا لَكَانَ إِيَّاه وَلَكِنْ أَعْجَمَا

وقال الراغب الأصفهاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في المفردات في غريب القرآن (٤٦٩)-: الشَّيْخُ، وقد يعبّر به فيما بيننا عمّن يكثر علمه، لما كان من شأن الشَّيْخِ أن يكثر تجاربه ومعارفه. اهـ

وقال بدر الدين العيني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في نخب الأفكار في تنقيح مباني الأخبار في شرح معاني الآثار (٥/ ١٢٠)-: والشيخ في اللغة يطلق على من استبانت فيه السنّ، ويقال: من عدى خمسين سنةً يسمى شيخًا إلى ثمانين سنة، ثم يصير رهمًّا، ولكن المراد ها هنا من الشيخ:

مَنْ تقدم في العلم وإن لم يبلغ حد الشيخوخة في السنن، ويقال: الشيخ مَنْ يصلح أن يُتلمذُ له. اهـ

وقال العلامة البقري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حاشيته على حاشية الرحبية في علم الفرائض لسبط المارديني (٥)-: قوله الشيخ: جمعه أشياخ وشيوخ، وهو إما مصدر شاخ، أو صفة، وسمي شيخا؛ لما حوى من كثرة المعاني؛ لأن معناه في الاصطلاح: من بلغ رتبة أهل الفضل ولو صبيًا.

وأما في اللغة فمعناه: من جاوز الأربعين.

وقال الراغب -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: أصله من طعن في السن. اهـ

وقال شيخ الإسلام-رَحِمَهُ ٱللَّهُ كما في مجموع الفتاوى (١١/ ٥١٢)-: كل من أفاد غيره إفادة دينية هو شيخه فيها؛ وكل ميت وصل إلى الإنسان من أقواله وأعماله، وآثاره ما انتفع به في دينه فهو شيخه من هذه الجهة؛ فسلف الأمة شيوخ الخلفاء قرنا بعد قرن...إلخ.



مقدمة مهمة فيها النصح لمن أُثني عليه خيرا بلفظة شيخٍ أو غيرها:

إذا مُدح الإنسان بما هو أهله من الخير، وذُكر بجميل خصاله الحميدة دون استشراف، مع سلامته من السمعة والرياء والعجب(١)، ومن غير انتظار لجزاء دنيوي على بره وصلاحه واستقامته فإذا أثني عليه وابتلي بذلك -سواء نودي بلفظ شيخ أو غير ذلك مما فيه توقير له، واحترام وهيبة- فليجاهد نفسه على الإخلاص، وعدم العجب والزهو بالنفس، فإذا فعل ذلك ومُدح بما فيه فهذا من القبول الذي قد يجعله الله له في الأرض، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ،

---

(١) وقد فصلت بشيء من الضوابط في كتابي "التذكير بأهمية خلق الاحترام والتوقير" في "باب: من الاحترام المدح لمن كان من أهله مع أمن الفتنة".

ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ». [رواه البخاري، برقم: (٦٠٤٠)، ومسلم، برقم: (٢٦٣٩)].

وليعلم أن المدح والثناء عليه يعد نعمة من الله عليه فليحمده عليها، فهذا من عاجل البشرى له في الدنيا، وليكن ذلك نبراس خير له في الجد والاجتهاد، والسعي للمزيد من مرضاة الله، فقد جاء عَنْ أَبِي ذَرٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ-: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ». [رواه مسلم، برقم: (٢٦٤٥)].

ويجب على من مدحه الناس ألّا يحمله ذلك على الكبر والتعالي فهذا وبال عليه، قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾ [الأعراف].

ويقول سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي

ﭐلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ [القصص].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ، يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ». [رواه مسلم، برقم: (٩٢)].

وعَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ الْخُزَاعِيِّ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ، كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ، كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ». [رواه البخاري، برقم: (٦٠٧٢)، ومسلم، برقم: (٢٨٥٥)].

فيجب على طالب العلم والداعي إلى الله أن يتواضع ويلين الجانب للآخرين؛ فهذا من أسباب رفعته في الدنيا والآخرة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ». [رواه مسلم، برقم: (٢٥٩٠)].

فنسأل الله أن يستعملنا في طاعته، وأن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.



التفصيل في إطلاق لفظة شيخ
في أوساط طلاب العلم:

أخص الكلام في هذا الموضع -الذي كان سببا في هذا المبحث- حول هذه المسألة المشتهرة جدا عند طلاب العلم في المراكز العلمية، ودور الحديث، وعند لقاءاتهم، وتخاطبهم مع بعض، وما يكون من إطلاق لها في مقدماتهم الترحيبية لبعضهم البعض، وهي إطلاق لفظة شيخ، ويعنون بها المدح والثناء، وهي في هذه الأزمنة المتأخرة لا يراد بها إلا المدح والثناء غالبا، مع ما قد توحي بأهلية الممدوح بها وأنه صاحب علم، ويرجع إليه في الفتوى، وما إلى ذلك-..

وقد انقسم الناس في إطلاق لفظة شيخ إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المجازف والمحابي.

القسم الثاني: وسط وعدل.

القسم الثالث: معرض جاف.

❀ **فالقسم الأول**: وهو من يُطلق لفظة شيخ على من ليس من أهله، بل قد يطلقه حتى على العوام، أو البادئين في طلب العلم، أو

على من يظهر عليه هيئة المستقيمين في لباسه وشكله مع ضعف علمه أو منهجه، فهذا من المجاوزة والمجازفة، وتجد إطلاق هذا اللفظ: يا شيخ، منتشرا بكثرة عند أهل الأهواء والبدع، فهم يطلقونه على أتباعهم، ويجامل بعضهم بعضا فيها، مع علم كل واحد منهم أنه لا يليق على مثله؛ لعدم أهليته ولا تمكنه من العلم والفتوى وغير ذلك، وهذا يجر إلى رزية الإقدام على الفتوى، والقول فيها بغير علم، وإلى الإشادة بمن ليس أهلا للتفقه على يده، وهذه مصيبة متفشية في هذا الزمان عند الكثير إلا من رحم الله.

وقد جاء عَنْ **أَبِي أُمَيَّةَ اللَّخْمِيِّ** -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلاثَةً: إِحْدَاهُنَّ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الأَصَاغِرِ**». [رواه الطبراني في الكبير، برقم: (٩٠٨) وغيره، وجوده العلامة الألباني في الصحيحة (٢/ ٣٠٩)].

قال الإمام اللالكائي -رَحِمَهُ اللَّهُ- في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٩٥) عند هذا الحديث-: **قال ابن المبارك**: الأصاغر من أهل البدع. اهـ

وقال ابن عبد البر -رَحِمَهُ اللَّهُ- في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦١٢) عند هذا الحديث-: **قال نعيم**: **قيل لابن المبارك** -رَحِمَهُ اللَّهُ-: من

الأصاغر؟ **قال:** الذين يقولون برأيهم، فأما صغير يروي عن كبير فليس بصغير.

وذكر أبو عبيد في تأويل هذا الخبر عن ابن المبارك أنه كان يذهب بالأصاغر إلى أهل البدع، ولا يذهب إلى السِّن. اهـ

وما أجمل ما **قاله صديق حسن خان** -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه الحطة في ذكر الصحاح الستة (١٣٩)-: زَمَاننَا هَذَا الَّذِي ذهب فِيهِ مَاؤُهُ، ونضب رواؤه، وَكثر جاهلوه، وَقل عالموه، لقَالَ مَا قَالَ، فقد نَبتَت فِي هَذَا الزَّمَان فرقة ذَات سمعة ورياء، تَدّعِي لأنفسها علم الحَدِيث وَالْقُرْآن، وَالْعَمَل بهما على العَلّات فِي كل شَأْن، مَعَ أَنَّهَا لَيست فِي شَيْء من أهل الْعلم وَالْعَمَل والعرفان؛ لجهلها عَن الْعُلُوم الآلية الَّتِي لَا بُد مِنْهَا لطَالب الحَدِيث فِي تكْمِيل هَذَا الشَّأْن، وَبعدهَا من الْفُنُون الْعَالِيَة الَّتِي لَا مندوحة لسالك طَرِيق السّنة عَنْهَا، كالصرف والنحو، واللغة والمعاني وَالْبَيَان، فضلا عَن كمالات أُخْرَى، وَأَن تشبهوا بالعلماء ويظهروا فِي زِيّ أهل التَّقْوَى نظم:

تَصَدَّرَ للتَّدريسِ كُلّ مَهوس ... بَليدٌ تَسَمَّى بِالفَقيهِ المُدَرِّسِ

فَحُقَّ لأهلِ العِلم أنْ يَتَمَثَّلُوا ... بِبَيْتٍ قَديم شاعَ فِي كُلِّ مَجْلِسِ

لَقَدْ هَزُلَتْ حتى بَدا مِنْ هَزْلِها   كِلاها وحتى سامَها كُلّ مُفْلِسِ

وسئل العلامة ابن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فقال السائل: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. هل يصح أن تطلق كلمة الشيخ لكل أحد من الناس ولا سيما أن هذه الكلمة أصبحت متفشية فأرجو توضيح ذلك؟

الجواب: كلمة شيخ في اللغة العربية لا تكون إلا للكبير، إما كبير السن، أو كبير القدر بعلمه أو ماله أو ما أشبه ذلك، ولا تطلق على الصغير، لكن كما قلت: تفشت الآن حتى كاد يلقب بالشيخ من كان جاهلاً أو لم يعرف شيئاً، وهذا فيما أرى لا ينبغي؛ لأنك إذا أطلقت على هذا الشخص كلمة شيخ وهو جاهل لا يعرف اغتر الناس به، وظنوا أن عنده علماً، فرجعوا إليه في الاستفتاء وغير ذلك، وحصل بهذا ضرر عظيم، وكثير من الناس -نسأل الله لنا ولهم الهداية- لا يبالي إذا سئل أن يفتي ولو بغير علم؛ لأنه يرى إذا قال: لا أدري؛ كان ذلك نقصاً في حقه، والواقع أن الإنسان إذا قال فيما لا يعلم: لا أدري كان ذلك كمالاً في حقه، ولكن النفوس مجبولة على محبة الظهور إلا من عصم الله، فالذي أرى أنها لا تطلق كلمة شيخ إلا على من يستحقها إما لكبره، أو لشرفه وسيادته في قومه، أو

لعلمه، وهذا كما كان بعض الناس الآن يطلق كلمة إمام على عامة العلماء، حتى وإن كان هذا العالم من المقلدة، يقول: هو إمام، وهذا أيضاً لا ينبغي، ينبغي ألا تطلق لفظ إمام إلا على من استحق أن يكون إماماً، وكان له أتباع، وكان معتبراً قوله بين المسلمين.

وبقي علينا أنك سلمت، وكذلك الأخ من قبلك سلّم عند إلقاء السؤال، وهذا ليس من السنة؛ لأن الصحابة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- كانوا إذا أرادوا أن يلقوا السؤال على الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- لم يكونوا يلقوا عليه السلام إلا من قدم إلى المجلس فهذا يسلم. اهـ [من أسئلة لقاءات الباب المفتوح (١١٧)].

❁ **القسم الثاني:** وهم الوسط والعدل، وفي مثل هذه المسألة يكون المعتبر في إطلاقها: حكم عالم مشهود له بالخيرية، والثبات على السنة، والخبرة وسبر أمور الدعوة والدعاة، وله باع في معرفة الرجال وأحوال الطلاب، وهو معايش لهم، وعنده سبر لأحوالهم، واستفادتهم وتمكنهم من العلم، حينها فإن حسم مثل هذه المسائل وردها لأهل العلم هو الأنسب في حل الخلافات، والله سبحانه أمر بالرجوع لأهل العلم فيما أشكل، فهم أهل الحل والعقد لما أشكل من مسائل وخلافات، سواء مما يكون بين طلاب العلم أو غيرهم، قال

الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٧﴾[الأنبياء].

وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٣﴾[النساء].

فينبغي أن يطاعوا فيما وافق الحق والسداد؛ لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾[النساء].

فأهل العلم من العلماء: هم أهل الورع، وقد ائتمنهم الله على دينه، وأشهدهم على ربوبيته، كما قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾[آل عمران].

وأخبر أنهم أهل خشيته، فقال -سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ-: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ

﴿مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر].

فهذا فيما يظهر هو أقرب حل لضبط هذه المسألة، وأن إطلاق لفظ شيخ على طلاب العلم والدعاة والمستفيدين ينبغي أن يُنظر إليها من ناحية الاعتبار بالأصل، وأعني بذلك أن مما تعارف عليه طلاب العلم والدعاة إلى الله: أن من كان مزكى من قبل عالم معتبر -وهو المرجع في قطره في النوازل وغيرها، وممن أجمع الناس على فضله وأهليته، وهو من أئمة عصره، وفريد دهره- ثم أطلق لفظة شيخ أو عالم، أو محدث أو فقيه، أو علامة أو فضيلة الشيخ، وما إلى ذلك لمن يستحقها من طلابه الذين خبرهم، وخبر سيرهم وأهليتهم في الاستفادة العلمية، وذلك من خلال مكوثهم بين يديه في مرحلة التحصيل، وأثنى عليه في مقال، أو في مكتوب وغير ذلك، فالأصل في ذلك اعتبار قوله، فهو المرجع في هذا الباب، والأصل أنهم لا يزكون إلا عن علم وخبرة، ومعرفة، وليس لأحد أن يطلق ألفاظا كهذه من طلاب العلم ومن دونهم من البادئين، أو ممن في طبقاتهم، وإنما يطلقها العلماء الذين يرجع إليهم، فإن حصلت التزكية فتطلق، وهذا الذي تعارف عليه الناس أن من زكاه العلماء بلفظة شيخ يعتبر

بذلك.

وقد **سئل شيخنا العلامة المحدث يحيى الحجوري** -حفظه الله-: فقال السائل: هل تشترط الشهرة لإطلاق لفظ الشيخ على شخص ما؟

الإجابة: إذا نص على ذلك أهل العلم هذا أمر لا بأس به، وإذا كان اشتهر كذلك أيضًا فلا بأس، وإلا فما أدري ما هذه المهاترة على شيخ...

نذكر أنفسنا وإخواننا -وفقهم الله- بقول النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَعَلَىٰٓآلِهِوَسَلَّمَ-: «**اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا**»اهـ(١)(٢).

وسئل فضيلة الشيخ العلامة المحدث مقبل بن هادي الوادعي -رَحِمَهُٱللَّهُ-:

فقال السائل: إطلاق لفظ شيخ أو عالم، أو محدث أو حافظ، ما هو الضابط لهذه الألفاظ، وما هي الشروط الواجب توفرها في الشخص حتى تطلق عليه؟

---

(١) رواه مسلم، وأحمد، وعبد بن حميد، والنسائي، عن زيد بن أرقم -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ-.

(٢) أسئلة من بيت الفقيه، بتاريخ: ليلة السبت ٦ صفر ١٤٢٣هـ، دماج – دار الحديث.

الجواب: أما مسألة عالم: فالذي يعلم بشيء من العلم ولو في فن من الفنون يُبرّزُ فيه، فإنك ترى الإمام الذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في السير يصف بعضهم بالعلامة وهو أخباري ليس لديه من العلم إلا السّير يعرفها.

وكذلك أيضاً لفظة شيخ لا يمنع أن تكون نسبية، نحن الآن أصبحنا بالصحيح حثالة فنحن على قدر زمننا، من مجتمعاتنا من لا يعلم عن دينه شيئاً، فطالب العلم لا بأس بأن يطلق عليه، نحن نطلق الآن على إخواننا الأفاضل بأنهم مشايخ إغاظة للمبتدعة، ونذكر ما لديهم من المزايا، وكأنك تضربهم بالسياط إذا أثنيت على إخوانك، هذا يلقبه بأسد السنة، وهذا يلقبه بأنه حكيم، وهذا يلقبه بكذا وكذا، نعم نلقبهم بهذا ونرفع من شأنهم؛ لأن المبتدعة يصفونهم بأوصاف لا يتقون الله فيها، فهم إذا جاء الداعي إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- من أهل السنة حذروا شبابهم، وحذروا المجتمع، ولو أمكن أن يقفوا على باب المسجد ويمنعوا الناس من الدخول إلى المسجد لفعلوا.

لفظة محدث عند المحدثين لا تطلق إلا على من حفظ المسانيد، وحفظ الصحاح أو كذا، لكن لا يمنع -كما ذكر هذا العراقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

وغيره- فالمحدثون في زمن العراقي غير المحدثين في زمن البخاري- رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ومع هذا أطلقوا على بعضهم بأنه محدث، ولا بأس نحن الآن في هذا الزمن الذي قد طم الجهل وعم وأصبح الناس لا يعرفون عن السنة شيئاً....إلخ ما قاله.(١)

القسم الثالث: من حَجَّر واسعًا وعنده جفاء في عدم إطلاقها لمن يستحقها ومن كان من أهلها ممن له أهلية في العلم، وحتى لو شهد له بذلك وأطلقها أهل الشأن من العلماء على طلابهم، فهو لا يقتنع بذلك لسبب أو لآخر، فيقال في مثل هذا ما جاء عن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾ [الحجرات]، قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ حَمْدِي زَيْنٌ، وَإِنَّ ذَمِّي شَيْنٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-: «ذَاكَ اللهُ تَعَالَى». [رواه الترمذي، برقم: (٣٢٦٧)، وصححه العلامة الألباني، في صحيح سنن الترمذي (٧/ ٢٦٧)، وحسنه العلامة الوادعي في الصحيح المسند (١/ ٦٤)].

فالخلاصة في هذا: أنه لا مانع أن تطلق كلمة شيخ على من

---

(١) من شريط: (أسئلة السلفيين من أهل صنعاء).

يستحقها من أهل العلم وأهل الفتوى ممن لهم أهلية في ذلك، دون جفاء وتحرج من إطلاقها، ولا يتساهل في إطلاقها على غيرهم فتضعف هيبة وتوقير الصادقين من أهل العلم في نفوس العامة -إذا صارت هذه الكلمة منتشرة للعالم والجاهل سواء-، فطالب العلم والداعي إلى الله -السني السلفي- ينبغي أن يفرح بأخيه، ويثني عليه بالحق، وبما لا إطراء فيه ولا مبالغة، ولا جفاء وشدة، وهذا هو الذي جرى عليه عمل السلف.

ومن نماذج ثناء أهل العلم من أقران وغيرهم على بعضهم:

- ما جاء عن أبي المِنْهالِ، قَالَ: سَأَلْتُ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ وَزَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- عَنِ الصَّرْفِ؟ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقُولُ: هَذَا خَيْرٌ مِنِّي، فَكِلَاهُمَا يَقُولُ: نَهَى رَسُولُ اللهَّ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ- عَنْ بَيْعِ الذَّهَبِ بِالْوَرِقِ دَيْنًا. [رواه البخاري، برقم: (٢١٨١)].

- وما جاء عن عبد الله بن عُمَرَ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا- قَالَ: قِيلَ لِعُمَرَ: أَلَا تَسْتَخْلِفُ، قَالَ: إِنْ أَسْتَخْلِفْ، فَقَدِ اسْتَخْلَفَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، أَبُو بَكْرٍ، وَإِنْ أَتْرُكْ، فَقَدْ تَرَكَ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، رَسُولُ اللهَّ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰآلِهِوَسَلَّمَ- فَأَثْنَوْا عَلَيْهِ، فَقَالَ: رَاغِبٌ رَاهِبٌ، وَدِدْتُ أَنِّي نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا لَا لِي وَلَا عَلَيَّ، لَا أَتَحَمَّلُهَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا. [رواه

البخاري، برقم: (٧٢١٨)].

- وما جاء عن محمد بن أبي بشر، قال: أتيت أحمد بن حنبل - رَضِيَٱللَّهُعَنهُ- في مسألة، فقال: ائت أبا عبيد، فإن له بيانا لا تسمعه من غيره، فأتيته فشفاني جوابه، فأخبرته بقول أحمد، فقال: ذاك رجل من عمال الله، نشر الله رداء عمله، وذخر له عنده الزلفي، أما تراه محببا مألوفا، ما رأت عيني بالعراق رجلا اجتمعت فيه خصال هي فيه، فبارك الله له فيما أعطاه من الحلم والعلم والفهم، فإنه لكما قيل:

يزينك إما غاب عنك فإن دنا ... رأيت له وجها يسرك مقبلا
يعلم هذا الخلق ما شذ عنهم ... من الأدب المجهول كهفا
من الأدب المجهول كهفا ومعقلا ... مضيما لأهل الحق لا يسأم البلا
وإخوانه الأدنون كل موفق ... بصير بأمر الله يسمو على العلا

[كما في مناقب الإمام أحمد (١٥٢)، وسير أعلام النبلاء ط: الرسالة (١١/٢٠٠)].

ومن النماذج العظيمة في ذلك:

- ما جاء في كتاب علوم الحديث للحاكم (١/ ١١٣) قال: حَدَّثَنِي أَبُو نَصْرٍ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْوَرَّاقُ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا حَامِدٍ أَحْمَدَ بْنَ حَمْدُونَ الْقَصَّارَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ مُسْلِمَ بْنَ الْحَجَّاجِ وَجَاءَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيِّ، فَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: دَعْنِي حَتَّى أُقَبِّلَ رِجْلَيْكَ



يَا أَسْتَاذَ الأُسْتَاذِينِ، وَسَيِّدَ الْمُحَدِّثِينَ، وَطَبِيبَ الْحَدِيثِ فِي عِلَلِهِ...

وإسناده حسن، ورواه من طريق الحاكم الخطيب البغدادي، في تاريخ بغداد (١٥/ ١٢١)، وابن عساكر، في تاريخ دمشق (٥٣/ ٦٨)، وابن حجر، في تغليق التعليق (٥/ ٤٢٢)، والذهبي في تاريخ الإسلام (١٩/ ٢٤٧).



اعتبار الشهرة في إطلاق لفظة شيخ:

يتفرع من المسألة المتقدمة تفصيلها مسألة وهي: من اشتهر بإطلاق لفظة شيخ وكان من أهلها، ولكن ليس بتنصيص من إمام وعالم معين، وإنما يعرف بذلك من خلال واقعه الذي يعيشه مع العلم، والدعوة إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وثباته على الحق والمنهج السلفي، وقِدَمه في الدعوة، واجتهاده في نشر الخير، فهو مقبل على العلم، والرحلة في طلب العلم ما بين حين وآخر، ونشيط في التدريس والتعليم للناس وغير ذلك، أو يكون له إقبال على التأليف والكتابة، وله ردود على أهل الباطل، وله جهود مشكورة في نشر السنة والتوحيد، والعقيدة الصحيحة وغير ذلك مما يشتهر به في أوساط أهل السنة، وهذا يوجد كثيرا.

فمن أهل العلم من أسس دعوته وبنى أمره على الخير والعلم، وله نصرة ونفاح للمنهج، الحق ويثني عليه أهل العلم في نشاطه وما يحويه من خير، واجتمعت كلمة أهل العلم على الإشادة به، والترحيب به في مَقْدَمِه وغير ذلك.

فالخلاصة: أنه قد يشتهر داع إلى الله بالخير وعنده حصيلة وأهليه في كثير من مقامات الدعوة إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وحينها فلا مانع من أن يوصف بهذا الإطلاق، وأنه شيخ من مشايخ أهل السنة باعتبار قِدَمه بالخير، وباعتبار إقرار أهل العلم والفضل له بذلك؛ لما عُرف به من الأهلية والمكنة التي يستحق من خلالها أن يُزكى بلفظة شيخ، وهذا مما يزيده تمكينا في قُطره والمكان الذي ينشر فيه العلم والتوحيد، والسنة، فالشهرة هذا ضابطها وميزانها، وبه يزول الإشكال في هذه المسألة -إن شاء الله-.

ومن قال بضابط الشهرة شيخنا العلامة الإمام يحيى الحجوري -حفظه الله- وقد تقدم قوله في المسألة، ولا بأس أن نعيده هنا.

يقول السائل: هل تشترط الشهرة لإطلاق لفظ الشيخ على شخص ما؟

الإجابة: إذا نص على ذلك أهل العلم هذا أمر لا بأس به، وإذا كان اشتهر كذلك أيضًا فلا بأس...إلخ.



لا يشترط سنًّا معينا لإطلاق لفظة شيخ:

ومن خلال بعض التعاريف المتقدمة عن أهل العلم يتبين لنا أن لفظة شيخ قد تطلق على جهة المدح لمن كان من أهل العلم، وأنه لا يختص بسن معين، وإنما هو بحسب أهلية صاحبه، وتضلعه في العلوم الشرعية، ورسوخه ونضوجه، فقد تطلق على صغير السن إذا كان من حملة العلم الشرعي، وذا مكنة في العلوم، ولذا نجد أن أهل العلم من السلف الصالح -ابتداء من الصحابة، ومن بعدهم من القرون- إلى وقتنا الحاضر هم ممن كانوا متضلعين بالعلم على صغر سنهم، كابن عباس وابن عمر، وأرسل النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ- أبا موسى ومعاذا إلى اليمن دعاة إلى الله، وعلماء يقودون أمه.

قال صديق حسن خان -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الحطة في ذكر الصحاح الستة (١٣٨)-: وَأما الشَّيْخ: **فَقَالَ الرَّاغِب**: أَصله من طعن فِي السن، ثمَّ عبروا بِهِ عَن كل أستاذ كَامِل وَلَو كَانَ شَابًّا؛ لِأَن شَأْن الشَّيْخ أَن تكْثر معارفه وتجاربه، وَمن زعم أَن المُرَاد هُنَا من هُوَ فِي سنّ يسن فِيهِ التحديث: وَهُوَ من نَحْو خمسين إِلَى ثَمَانِينَ فقد أبعد وتكلف،

وَالْتزم الْمَشْي على الْقَوْل المزيف؛ لِأَن الصَّحِيح أَن مدَار التحديث على تأهل الْمُحدث، حدث الْبُخَارِيّ وَمَا فِي وَجهه شعر، حَتَّى أَنه رد على بعض مشايخه غَلطا وَقع لَهُ فِي سَنَده، وَقد حدث مَالك وَهُوَ ابْن سَبْعَة عشر، وَالشَّافِعِيّ وَهُوَ فِي حَدَاثَة السن، وَالْحق أَن الْكَرَامَة والفضيلة إِنَّمَا هِيَ بِالْعلمِ وَالْعقل، دون الْعُمر وَالْكبر، فكم من شيخ فِي سنّ يسن فِيهِ التحديث وَهُوَ لَا يَهْتَدِي إِلَى تَمْيِيز الطّيب من الْخَبيث. شعر:

وَعند الشَّيْخ أَجزَاء كبار   مجلدة وَلَكِن مَا قراها

وَكم من طِفْل صَغِير يفوق الشَّيْخ الْكَبِير فِي الدِّرَايَة، وملكة التَّحْرِير، وَالله يخْتَص برحمته من يَشَاء. اهـ

قلت: **ومن النماذج في بيان أن السن غير معتبر في بلوغ رتبة أهل الفضل:**

- ما جاء عن مَالِك بن الحويرث -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: أَتَيْنَا إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- رَحِيمًا رَفِيقًا، فَلَمَّا ظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَهَيْنَا أَهْلَنَا، أَوْ قَدِ اشْتَقْنَا، سَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا بَعْدَنَا،

فَأَخْبَرْنَاهُ، قَالَ: «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ»، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ أَحْفَظُهَا أَوْ لَا أَحْفَظُهَا: «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ». [رواه البخاري، برقم: (٦٣١)، ومسلم، برقم: (٦٧٥)].

الشاهد: أنهم شباب رجعوا دعاة إلى الله، وبِحَثّ وترغيب من النبي -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ-.

والنماذج في هذا الباب كثيرة بما لو أفردها أحد في مصنف لجاءت في كتاب مستقل، في بيان صغار الصحابة، ومن بعدهم من العلماء ممن بلغوا رتبة الإمامة في الدين مع صغر سنهم.

وقد ذكروا في كتب تراجم الصحابة عددا من صغار الصحابة ممن كانوا من أهل العلم على صغر سنهم، وتصدروا للفتوى وتعليم الناس وغير ذلك، ومن أولئك العبادلة، وهم يعدون من صغار الصحابة، ومع ذلك وصفوا بالعلم، وأنهم من العلماء، ولم يكن السن ميزانا معتبرا في بلوغ رتبة أهل العلم الكبار.

والعبادلة -من صغار الصحابة- هم:

- عبد الله بن عباس -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-.

- وعبد الله بن عمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-.
- وعبد الله بن الزبير -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-.
- وعبد الله بن عمرو -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا-.

ثم سار على هذا الحال السلف الصالح، ومن بعدهم من العلماء، وقد وصفوا بالعلم والإمامة في الدين، وأنهم من علماء الإسلام، مع أنه يذكر في تراجمهم صغر سنهم، وربما توفي بعضهم وهو بالثلاثين، ولم يتجاوز الأربعين، وتصدر بعضهم للإفتاء والتعلم، والتدريس وبث العلم، والأخذ عنه والتأليف، وهو دون العشرين من عمره، كالإمام البخاري-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، والشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، بل ويذكر في تراجمهم أن الواحد منهم ربما حضر بين يديه كبار السن، ومن لحيته بيضاء، وهو لا يزال شابا أمردا ليس له لحية.

وممن يذكر بأنه صار من العلماء المبرزين في زمنه على صغر سنه:

شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، والشوكاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، والإمام النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، وتوفي النووي وهو في سن الشباب، وكذا من أئمة النحو سيبويه -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، توفي وهو في الثانية والثلاثين من

عمره.

وكذلك من نماذج العلماء المتقدمين الذين رسخوا بالعلم على صغر سنهم، وأطلق العلماء عليهم ألقابا تدل على أنهم من أئمة الدين، وحفاظ الإسلام، الإمام العالم ابن عبد الهادي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- صاحب كتاب الصارم المنكي -وهو من أشهر كتبه- ولو رجعت إلى كتب التراجم لرأيت عجبا من ثناء العلماء عليه، من أنه إمام عصره، وفريد دهره، وأنه برع في فنون عديدة، وهو من علماء أهل السنة، وممن له غيرة، وصدع بالحق ونفاح، وهو من أئمة الجرح والتعديل، وتوفي وهو في عمر تسعة وثلاثين سنة -وهذا سن الشباب- وهذا يدل أنه لم يبلغ هذه المنزلة الكبيرة إلا وهو قد تحصل في مرحلة صغره على علوم، وبرع فيها منذ نشأته، وهو من أبرز تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-، والحافظ المزي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- والذهبي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وغيرهم، وإليك بعضا من ثناء العلماء عليه:

قال الحافظ ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ترجمته من البداية والنهاية ط: إحياء التراث (١٤/٢٤٤)-: يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ عَاشِرِ جُمَادَى الْأُولَى

تُوُفِّيَ صَاحِبُنَا الشَّيْخُ الْإِمَامُ، الْعَالِمُ الْعَلَّامَةُ، النَّاقِدُ الْبَارِعُ فِي فُنُونِ الْعُلُومِ، شَمْسُ الدين...

إلى قوله: وَحَصَّلَ مِنَ الْعُلُومِ مَا لَا يَبْلُغُهُ الشُّيُوخُ الْكِبَارُ، وَتَفَنَّنَ فِي الْحَدِيثِ، وَالنَّحْوِ وَالتَّصْرِيفِ، وَالْفِقْهِ وَالتَّفْسِيرِ، وَالْأَصْلَيْنِ، وَالتَّارِيخِ وَالْقِرَاءَاتِ، وَلَهُ مَجَامِيعُ وَتَعَالِيقُ مُفِيدَةٌ كَثِيرَةٌ، وَكَانَ حَافِظًا جَيِّدًا لِأَسْمَاءِ الرِّجَالِ، وَطُرُقِ الْحَدِيثِ، عَارِفًا بِالْجَرْحِ وَالتَّعْدِيلِ، بَصِيرًا بِعِلَلِ الْحَدِيثِ، حَسَنَ الْفَهْمِ لَهُ، جَيِّدَ الْمُذَاكَرَةِ، صَحِيحَ الذِّهْنِ، مُسْتَقِيمًا عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ، وَاتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مُثَابِرًا عَلَى فِعْلِ الْخَيِّرَاتِ. اهـ

ولأهل العلم ثناء عظيم عليه غير هذا أنصح بمطالعة ترجمته؛ لأنها تشحذ الهمم، نسأل الله من فضله.

ومن النماذج فيمن صار إماما مع صغر سنه:

ما جاء في ترجمة السبكي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ، واسمه عبد الْوَهَّاب بن عَليّ بن عبد الْكَافِي، **قال** عنه **أبو بكر الدمشقي** -في طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (٣/ ١٠٤)-: الْعَلامَة قَاضِي الْقُضَاة، تَاج الدَّين أَبُو نصر ابن الشَّيْخ الإِمَام شيخ الْإِسْلَام تَقِيّ الدَّين أبي الْحسن

الْأنْصَارِيّ الخزرجي السُّبْكِيّ...، وَسمع بهَا من جمَاعَة، واشتغل على وَالِده وعَلى غَيره ،وَقَرَأَ على الْحَافِظ الْمزي، ولازم الذَّهَبِيّ وَتخرج بِهِ، وَطلب بِنَفسِهِ ودأب، قَالَ الْحَافِظ شهَاب الدَّين ابْن حجي: أَخْبرنِي أَن الشَّيْخ شمس الدَّين ابْن النَّقِيب أجَازه بالإفتاء والتدريس، وَلما مَاتَ ابْن النَّقِيب كَانَ عمر القَاضِي تَاج الدَّين ثَمَانِيَة عشر سنة، وَأفْتى ودرس، وَحدث وصنف، وأشغل وناب عَن أَبِيه بعد وَفَاة أَخِيه القَاضِي الْحُسَيْن، ثمَّ اسْتَقل بِالْقَضَاءِ بسؤال وَالِده فِي شهر ربيع الأول سنة سِتّ وَخمسين، ثمَّ عزل مُدَّة لَطِيفَة ثمَّ أُعِيد، ثمَّ عزل بأَخيه بهاء الدَّين وَتوجه إِلَى مصر على وظائف أَخِيه، ثمَّ عَاد إِلَى الْقَضَاء على عَادَته، وَولي الخطابة بعد وَفَاة ابْن جملَة...

إلى قوله: جيد البديهة، ذَا بلاغة وطلاقة لِسَان، وجراءة جنان، وذكاء مفرط، وذهن وقاد، وَكَانَ لَهُ قدرَة على المناظرة، صنف تصانيف عدَّة فِي فنون على صغر سنة، وَكَثْرَة أشغاله، قُرِئت عَلَيْهِ، وانتشرت فِي حَيَاته وَبعد مَوته.

قال: وانتهت إِلَيْهِ رئاسة الْقَضَاء والمناصب بِالشَّام، وَحصل لَهُ من المناصب مالم يحصل لأحد قبله. اهـ

ومن النماذج فيمن صار إماما مع صغر سنه:

ما ذكره **ابن كثير** -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البداية والنهاية ط إحياء التراث (١٢/٤٠٥) في ترجمة أَبي بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الهمداني- قال: الْحَافِظُ... صَاحِبُ التَّصَانِيفِ عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ، مِنْهَا الْعُجَالَةُ فِي النَّسَبِ، وَالنَّاسِخُ وَالْمَنْسُوخُ فِي الْحَدِيثِ وَغَيْرُهُمَا. اهـ

ومن النماذج فيمن صار إماما مع صغر سنه:

ما ذكره **السبكي** -رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طبقات الشافعية الكبرى (٧/٢٩٧) في ترجمة مَسْعُود بن مُحَمَّد بن مَسْعُود الطريثيثي قال: الشَّيْخ الإِمَام، أَبُو الْمَعَالِي قطب الدّين النَّيْسَابُورِي، صَاحب كتاب الْهَادِي الْمُخْتَصر الْمَشْهُور فِي الْفِقْه، كَانَ إِمَامًا فِي الْمَذْهَب وَالْخلاف، وَالْأُصُول وَالتَّفْسِير، والوعظ، أديبا مناظرا...

إلى قوله: قَالَ ابْن النجار: وَكَانَ يُقَال إِنَّه بلغ حد الْإِمَامَة على صغر سنة، ودرس بنظامية نيسابور، ثمَّ ورد بَغْدَاد، وَحصل لَهُ بهَا الْقبُول التَّام، ثمَّ جَاءَ إِلَى دمشق وسكنها مُدَّة، ودرس بِالْمَدْرَسَةِ المجاهدية

مُدَّة، ثمَّ بالزاوية الغزالية بعد موت أبي الْفَتْح نصر الله المصِّيصِي، ثمَّ خرج إِلَى حلب، وَولى بهَا تدريس المدرستين اللَّتَيْنِ بناهما نور الدّين وَأسد الدّين، ثمَّ سَافر إِلَى بَغْدَاد، وَمِنْهَا إِلَى همذان، وَولي التدريس بهمذان، وَأقَام بهَا مُدَّة، ثمَّ عَاد إِلَى دمشق.

ومن النماذج فيمن كان إماما مع صغر سنه:

ما ذُكر في ترجمة صاحب كتاب الترغيب والترهيب، **قال الذهبي**- رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سير أعلام النبلاء ط: الرسالة (٢٠/٨٠)-: التَّيْمِيُّ، أَبُو القَاسِمِ إِسْمَاعِيْلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الفَضْلِ الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الحَافِظُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو القَاسِمِ إِسْمَاعِيْلُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الفَضْلِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَحْمَدَ بنِ طَاهِرٍ القُرَشِيُّ، التَّيْمِيُّ، ثُمَّ الطَّلْحِيُّ، الأَصْبَهَانِيُّ، المُلَقَّبُ: بِقِوَامِ السُّنَّةِ، مُصَنِّفُ كِتَابِ التَّرْغِيْبِ وَالتَّرْهِيْبِ...

إلى قوله: قَالَ أَبُو مُوْسَى المَدِيْنِيُّ: أَبُو القَاسِمِ إِسْمَاعِيْلُ الحَافِظُ إِمَامُ أَئِمَّةِ وَقتِه، وَأُسْتَاذُ عُلَمَاءِ عَصرِه، وَقُدْوَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي زَمَانِهِ...

إلى قوله: قَالَ أَبُو مُوْسَى: وَلاَ أَعْلَمُ أَحداً عَابَ عَلَيْهِ قَوْلاً وَلاَ فِعلاً، وَلاَ عَانَدَه أَحَدٌ إِلاَّ وَنَصرَه اللهُ، وَكَانَ نَزِهَ النَّفْسِ عَنِ المَطَامعِ، لاَ يَدخُلُ عَلَى السَّلاَطِيْنِ، وَلاَ عَلَى مَنِ اتَّصلَ بِهِم، قَدْ أَخلَى دَاراً مِنْ مُلكِهِ

لأَهْلِ العِلْمِ مَعَ خِفَّةِ ذَاتِ يَدِه، وَلَوْ أَعْطَاهُ الرَّجُلُ الدُّنْيَا بِأَسرِهَا لَمْ يَرْتَفِعْ عِنْدَهُ...

إلى قوله: سَمِعْتُ مَنْ يَحكِي عَنْهُ فِي اليَوْمِ الَّذِي قَدِمَ بِوَلَدِه مَيِّتاً، وَجلَسَ لِلتَّعزِيَةِ، أَنَّهُ جَدَّدَ الوُضُوْءَ فِي ذَلِكَ اليَوْم مَرَّاتٍ نَحْوَ الثَّلاَثِيْنَ، كُلُّ ذَلِكَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَسَمِعْتُ بَعْضَ أَصْحَابِه: أَنَّهُ كَانَ يُمْلِي شَرْحَ صَحِيْحِ مُسْلِمٍ عِنْدَ قَبْرِ وَلَدِهِ أَبِي عَبْدِ اللهِ، وَيَوْمَ تَمَامِه عَمِلَ مَأْدُبَةً وَحلاَوَةً كَثِيْرَةً، وَكَانَ ابْنُهُ وُلِدَ فِي سَنَةِ خَمْسِ مائَةٍ، وَنَشَأَ، وَصَارَ إِمَاماً فِي اللُّغَةِ وَالعُلُوْمِ حَتَّى مَا كَانَ يَتقدَّمُهُ كَبِيْرُ أَحَدٍ فِي الفَصَاحَةِ وَالبَيَانِ وَالذَّكَاءِ، وَكَانَ أَبُوْهُ يُفضِّلُه عَلَى نَفْسِهِ فِي اللُّغَةِ، وَجَرَيَانِ اللِّسَانِ، أَمْلَى جُمْلَةً مِنْ شَرْحِ الصَّحِيْحَيْنِ، وَلَهُ تَصَانِيْفُ كَثِيْرَةٌ مَعَ صِغَرِ سِنِّهِ، مَاتَ بِهَمَذَانَ، سَنَةَ سِتٍّ وَعِشْرِيْنَ، وَفَقَدَهُ أَبُوْهُ.

وسمعت أحمد بن حسن يقول: كُنَّا مَعَ الشَّيْخِ أَبِي القَاسِمِ، فَالْتَفَتَ إِلَى أَبِي مَسْعُوْدٍ الحَافِظِ، فَقَالَ: أَطَالَ اللهُ عُمُرَك، فَإِنَّك تَعِيشُ طَوِيْلاً، وَلاَ تَرَى مِثْلَكَ، فَهَذَا مِنْ كَرَامَاتِهِ. اهـ

وغيرهم كثير، ويطول المقام لذكرهم.

فالشاهد من هذا الكلام: أن السن ليس معيارا في العلم، وإنما هي

الأهلية، فقد تجد كبيرا في السن لا يفقه من دين الله كما يفقه من كان صغيرا في السن، وكما قيل:

فَمَا الحَداثَةُ من حِلْـم بمَانِعَـةٍ قد يُوجَدُ الحِلمُ في الشبّانِ وَالشِّيبِ

وإن كان الأصل في العلم أنه إذا تضلع به كبير السن يكون أعظم نفعا، وأكثر فهما ودراية، وخبرة من صغير السن.

وإن كان صغير السن من المشايخ المبرزين فكبير السن من العلماء يفضل عليه، ويقدم عليه في الفتوى وغيرها، وهذا مما لا خلاف في فهمه عند أهل العلم، لما جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**الْبَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ**». [رواه ابن حبان، برقم: (٥٥٩)، وصححه العلامة الألباني، في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/٤٧)، وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/٣٨٠)].

وحديث ابْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «**أَمَرَنِي جِبْرِيلُ أَنْ أُقَدِّمَ الْأَكَابِرَ**». [رواه أبو بكر الشافعي، في الفوائد -الشهير بالغيلانيات-(١/٦٨٧)، وصححه العلامة الألباني، في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/٧٤)].

وعَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- حَدَّثَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ -



صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «أَرَانِي فِي الْمَنَامِ أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَذَبَنِي رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الْأَصْغَرَ مِنْهُمَا، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ، فَدَفَعْتُهُ إِلَى الْأَكْبَرِ». [رواه مسلم، برقم: (٢٢٧٤)].



خاتمة مهمة لمن همه تجميع تزاكي
سوًا بإطلاق لفظة شيخ أو غيرها

وأختم هذا الموضع بنصيحة مهمة لكل طالب علم، وداع إلى الله: ألّا يكن همه تجميع التزاكي، وانتظار المدح والثناء، وإذا لم يثنَ عليه يغضب، وألّا يستشرف للثناء، سواء في مسألة المشيخة أو غيرها، وليُعلم أن كل واحد ستشرحه سيره ودعوته، وحرصه واجتهاده، وثباته على السنة، واستمراره في العلم وعكوفه عليه، فهذا هو الذي يبين حاله وأمره بين الناس.

وينبغي أن نعلم جميعا أن من أخلص في طلبه للعلم أن الله سيجعل له القبول، بل يكفيه شرفا أن يرضى الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَى- عنه، فليكن هذا نصب عيني كل طالب علم، ومن أهم المهمات عنده.

فيا طالب العلم! ينبغي أن ترضي الله بما تطلب من العلم، هذا هو الأصل، فالواجب الذي ينبغي أن يتنه له طالب العلم هو صلاح سريرته، ولا بأس أن يفرح بمدح الناس له؛ وهذا مع مجاهدة النفس ليس محرما، فقد كان الصحابة يفرحون غاية الفرح بمدح النبي -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- لهم، وهكذا كان العلماء والفضلاء وطلاب العلم يفرحون بمن زكاهم؛ لأن هذا مما يُمكّن لدعوتهم ونصحهم؛ ولأن هذا مما يجعله مصدر ثقة لتلقي العلم عنه، وهذا مما يُعَرَّف به وبأهليته.

وينبغي ألا يكون حريصا على طلب المدح والثناء، فيزرع الشيطان في قلبه حب السمعة، ويتسلط عليه بطلب الشهرة، فيخرجه هذا عن نطاق الإخلاص، فيقعده الشيطان، إن لم يُثنِ عليه أحد فَتَر وكسل، وأصابه الخمول، وربما ترك العمل الصالح وغير ذلك، ولينظر كل منا إلى قول الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٤٩﴾ [النساء].

وقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ۝٣٢﴾ [النجم].

وقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ [الحجرات].

ولنتذكر جميعا ما جاء من وعيد في حق من أراد بعلمه الدنيا،

وطلب المدح والثناء من الناس، ومن ذلك ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- : «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ» [رواه مسلم، برقم: (٢٩٨٨)].

وأيضا ما جاء عَنْ سَلَمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ جُنْدَبًا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- : «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي، يُرَائِي اللهُ بِهِ». [رواه البخاري، برقم: (٦٤٩٩)، ومسلم، برقم: (٢٩٨٩)، وجاء عن ابن عباس عند مسلم، برقم: (٢٩٨٨)].

وما جاء عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ قال: حَدَّثَنَا رَجُلٌ فِي بَيْتِ أَبِي عُبَيْدَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرٍو يُحَدِّثُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ يوم القيامة، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ»، قَالَ: فَذَرَفَتْ عَيْنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-. [رواه أحمد في مسنده، برقم: (٦٨٠٠)، وابن أبي شيبة في مصنفه، برقم: (٣٦٣٠٩)، وصححه العلامة الألباني في الصحيحة (٦/ ١٤٠)].

وعن أسامة بن زيد -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ يَا فُلَانُ: مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟، فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ». [رواه البخاري، برقم: (٣٢٦٧)، ومسلم، برقم: (٢٩٩٢)، واللفظ له].

وعن **كعب بن مالك الأنصاري** -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ». [رواه الترمذي، برقم: (٢٦٥٤)، وحسنه العلامة الألباني، في صحيح الجامع (٢/ ١٠٩١)].

وعَنْ **جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ** -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: «لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارُ النَّارُ». [رواه ابن ماجه، برقم: (٢٥٤)، وصححه العلامة الألباني لغيره في صحيح الترغيب (١/ ١٥٤)].

وقد جاء بنحوه عن أبي هريرة، وحذيفة، وابن عمر -

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِين -.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكان الفراغ من إتمامه في الثاني من جمادى الآخرة، لعام (١٤٤٤) من هجرة النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ -.

وسبحانك وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.



الفهرس:



صدر حديثًا



دار الإمام الشافعي
للطباعة والنشر والتوزيع
اليمن - عدن

الشيخ عثمان جولة القاهرة ـ خلف فندق الريان
+٩٦٧ ٧٧٤٤٢٧٥٧٢ - +٩٦٧ ٧٣٦٩٠١٨٢٤
حضرموت الحامي ـ جوار مسجد أنور ـ الشارع الشرقي من النادي
+٩٦٧٠٢٠٥٣٤١٥٩٨ - +٩٦٧ ٧٧٧٣٤٩٥٢٣
alshafibooks@gmail.com